تقييم صحافة الثورة العشرين

تعتبر صحافة الثورة العشرين تحولا نوعيا في نضال العراقيين وطريقتهم في الحركة السياسية بعد الحرب العالمية الأولى ، حيث لعبت دورا هاما في التاريخ السياسي والفكري الحديث للعراق. . ووجدت هذه الحقيقة تعبيرها في صحيفتي النجفية والبغدادية ، وكان الهدف السياسي الرئيسي للثورة والحركة الوطنية كلها في ذلك الوقت هو الاستقلال ، وقد رفعت شعار (لا حياة بلا استقلال). لقد استحوذت فكرة الاستقلال على أفكار ومشاعر المثقفين الوطنيين العراقيين ، لذلك لم يكن غير متوقع أو غير طبيعي أنه خلال أيام الثورة صدرت صحيفتان بنفس الاسم في آن واحد. يمكن استخلاص أهداف صحافة الثورة العشرين ، ومن خلالها التيارات العامة للمثقفين الوطنيين العراقيين ، من المقتطفات الواردة في صحف الثورة نفسها ، وقد حدد الاستقلال الأهداف في افتتاحية عددها الأول. صحافة الثورة العشرين ، والعمل على الرد على أوهام المحتلين واتهاماتهم ، ونشر مظالمهم الهمجية ، وكشف حقيقتهم ، وتوضيح مطالبهم. الأمة الشرعية ونشر أخبار المعارك والحوادث المحلية. أما الشيخ محمد باقر الشبيبي ، فقد أراد أن يكون نهر الفرات هو الوسيلة التي تنمو بها حركة الأفكار وتصل أسباب النهضة وأسباب الاستقلال ، وآخر سؤال له نائب الحاكم العام لبريطانيا؟ العراق أرنولد ويلسون الذي تركزت عداء العراقيين ضده في النص التالي: الأمر سهل بالنسبة لك يا ممثل الدولة البريطانية. أمة خلقها العداوة ويحكمها السيف ، سفكت بالدماء وسفكت النفوس بالعداء الخالص والحكم الصافي دون خوف من الحقيقة وخوف من العدالة ، ستقف معكم أمام محكمة تاريخية لمعرفة من هو المجرم الذي دمر. وقتلوا النفوس البشرية بلا رحمة ولا شفقة. ويل لمن دهن الارض بدم الابرياء.). ساهمت صحافة الثورة العشرين في تحديد العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى اندلاع الثورة ، مما يسمح لنا بدحض كل الآراء غير العلمية التي وردت في تقييم بعض المؤرخين الغربيين للثورة ، كمحتوى الصحف. للثورة لإظهار مدى تكامل الاستقلال السياسي هو الهدف الأكيد والهدف لقادة الثورة. حقيقة أن المؤرخين خلصوا بالإجماع إلى أن البريطانيين نكثوا بوعودهم العديدة للشعب العراقي هو أحد العوامل الرئيسية التي دفعت الوطنيين العراقيين إلى اتباع سياسة مناهضة لبريطانيا. حالة نفسية تجعله أكثر عرضة للتضحية وتقبل الأفكار المعارضة والمشاركة في الأعمال التي تعبر عن استياء الرأي العام. من وجهة النظر هذه يجب تقييم دور العامل الاقتصادي في الثورة العشرين. ومن المهم الإشارة إلى أن صحافة ثورة العشرين تحتوي على العديد من الحقائق والآراء التي تثبت بشكل مقنع هذا الاتجاه ، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الضريبية للمحتلين ، والتي أثارت استياءً كبيرًا لدى العراقيين عمومًا. يتفق المؤرخون والباحثون ، ومن بينهم معظم الأجانب الذين كتبوا عن تاريخ العراق الحديث ، بالإجماع تقريبًا على أن الدور الرئيسي في إشعال نار الكراهية في نفوس العراقيين ضد البريطانيين ، وهو ما انعكس بشكل واضح في أحداث الثورة العشرين. لقد سلطت بعض مقالات صحف الثورة الضوء على

تفصيلات دقيقة للوحشية اللامتناهية التي لجأت إليها قوات الاحتلال البريطاني في سبيل القضاء ثورة العشرين ومن الجدير بالذكر ان صحف الثورة كانتا تحاولان استقلال ذلك لإثارة حفيظـة المـراقيين ضد الانكليز فتحـت عنـوان (فضايع المحتلين ، نشرت صحيفة الاستقلال النجفية مقالة في عددها الثاني تحدثت فيها عن القتل والنهب في قرية الحمزة بالنص الآتي : (داهم الانكليز قرية الإمام الحمزة وجعلوا بيوتها هدفا لنيران مدافعهم حتى هدمتها . وقد هرب سكان القرية عند أول طلقة نارية صوبت نحوهم هائمين على وجه الجزيرة رجالا ونساء تاركين أموالهم وحيواناتهم ، ولم يتخلف 4 القرية غير العجزة وبعض الأطفال الذين لا يزيدون عن 17 نسمة ، وما إن دخل الجنود حتى قتلوا أولئك البؤساء وسلبون ما كان هناك من علي ودراهم وحيوانات واتلفوا كل ما يصعب نقله من أثاث البيوت ... وقد أصيب حـرم الحمزة بثلاث قنابل مدفعية خربت قسماً منه وخرب الجنود الحرم وقلعوا شباك القبر والصندوق الذي فوقه وكسوتهما وخربوا شبابيك النوافذ وكسروا جميع ما هناك من المعلقات ولم يقتصروا على ذلك بل أخرقوا القرائين الموجودة في الحرم وغيرها من الكتب المقدسة ومـن خـلال المعلومات الواردة عن صحافة ثورة العشرين يتمكن المرء ان يتوصل الى استنتاجات مختلفة تساعد على الوقوف بصورة أفضل على طبيعة الثورة أسهمت في إخفاقها فأن مقاربة بسيطة بين محتويات وتفكير قادتها والعوامل صحيفتي الفرات والاستقلال تبين بوضوح مدى تناقض مفكري الثورة الحـادي الموقف من الانكليز الذي كان يتراوح بين الاعتدال المتمثل في الاستقلال والتطرف المبالغ فيه المتجسد في ثنايـا أعـداد صحيفة الفرات وتبين هذه الحقيقة وحدها ، فضلا عن أمور أخرى كثيرة وردت على صفحات الجريدتين ان قيادة الثورة لم تفهم كما يجب طبيعة الاستعمار ومنفذي سياسته فان زعماء الثورة كانوا ينظرون الى الايرلنديين غير نظرتهم الى رئيس الوزراء أيام الثورة (لويد جورج) ، وقوموا وكيل رئيس الوزراء البريطاني السابق (أسكويث) الاستعماري العتيد الغارقة يديه في دماء الآيرلنديين غير نظراتهم الى رئيس الوزراء أيام الثورة (لويد جورج) وقوموا وكيل . الحاكم الملكي له أراد أن ينصبه ، ملكاً العام المخلوع أرنولد ولسن تقويما يختلف عما فعلوا إزاء الحاكم العام الجديد بيرسي كوكس الذي كان ولسن يعتز بكونه تلميذا مخلصاً علـى العـراق ولكـن صحيفة الاستقلال كانت تنظر الى المطلوبة . (أسكويث) شخص يساعد الشعب العراقي حيث تمنت ان تؤدي حنكة كوكس السياسية الى ان يتبـع خطـة أسكويث حتى يتسنى تشكيل الحكومة العراقية وفضلاً عن كل ما تقدم فان صحافة الثورة حفظت لنـا وثائق ويوميات ثورة العشرين وهي تنطوي على أهمية كبيرة تؤشر لنا بوضوح إنها استطاعت بلورة موقف للحركة الوطنية العراقيـة مـن الثروة النفطية وإنها استطاعت بشكل مبكراً أن تسلط الضوء على شخصية سياسية مهمة هي شخصية نوري السعيد الذي لا يختلف اثنان في انه أشهر شخصية عراقية ظهـرت فـوق المسرح السياسي في العهد الملكي فقد ناصبت صحيفة الفرات العداء لشخص نوري السعيد واعتبرته رجل بريطانيا في العراق من خلال كشف صلاته السرية مع الانكليز وإيمانه المطلق بأنه (إذا كان نهر دجلة لا يزال يجري ، فما ذلك إلا

بفضل الانكليز) وحذرت الرأي العام العراقي من الوقوع في حبائله والسهر على تتبع خطواته وعرقلة مساعيه وخاطبت النـاس بالقول (لا تبالوا أيها الإخوان ولا تقيموا له وزناً ولو أدعى الكلام باسم الملك حسين والملكين فيصل وعبد الله أو باسم المؤتمر العراقي الموجود في حاضرة الشام) . صحيفة الحكومة العراقية بالرغم من البحوث العديدة التي ظهرت عن الصحف العراقية منذ صدور صحيفة الزوراء ، فان هذه البحوث لم تتمكن من الإلمام بجميع هذه الصحف وخاصة صحف الفترة العثمانية وفترة الاحتلال البريطاني للعراق ويعود ذلك الى ندرة تلك الصحف وعدم توفرهـا لأسباب عديدة منها عدم اهتمام الحكومة حينذاك بجمعها وحفظها وصيانتها وصحيفة الحكومة الرسميـة إحـدى هـذه الصحف . وقد أشير إليها في بعض البحوث دون تقديم أية معلومات كافية عنهـا بل أن أكثر الناس على اختلافهم لم يعرفوا لحد الآن صحيفة (الوقائع العراقية. كانت أول صحيفة رسميـة صـدرت في العراق بعد الا البريطاني وقد أبدل اسمها بعد ذلك لتصبح (الوقائع العراقية) . الرسمية) التي إن تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة في تشرين الثاني 1520 أوجب وجود مثل هذه الصحيفة ، إذ كان من واجب هذه الحكومة التي شكلها المندوب السامي البريطاني في العراق القيام بتنظيم مؤسسات الدولة الجديدة وتنميتها بتوجيه المندوب السامي نفسه بحكم وجود نظام الانتداب الذي فرضـه مـؤتمر سان ريمـو علـى العـراق 2 25 نيسان 1920 فكانت وزارات هذه الحكومة بحاجة الى وسيلة إعلامية خاصة بها توضح الوغلفيها البلاغات الرسمية والبيانات والقوانين التي تصدرها . كذلك فان دائرة المندوب السامي البريطاني وقبلها دائرة الحاكم الملكي البريطاني العام في العراق تفتقر الى مثل هذه الواسطة فكانت بلاغات السلطة البريطانية تنشري الصحف السياسية التي تصدري العراق . ففي كانون الثاني 1921 صدر العدد الأول من صحيفة (الحكومة العراقيـة) الرسميـة في اثنتي عشرة صفحة يبلغ طـول الصفحة منهـا 34 وعرضها 21 سم . ووضع في أعلى الصفحة الأولى من الصحيفة شعار المملكة البريطانية ثم يأتي تحتـه اسم الـصحيفة بخط كبير باللغة الانكليزية (iraq | Government Gazette) وفي أسفله ترجمـة بحـروف صغيرة للعنوان باللغة العربية وقسمت كل صفحة في الصحيفة الى حقلين متساويين احدهما تكتب فيه البلاغات والإعلانات والقوانين باللغة الانكليزية والثاني يحتوي على ترجمة باللغة العربية لما جاء في الحقل الأول . ومن الملاحظ انه لم يحدد يـوم صـدور الصحيفة ، بل ذكر اسم الشهر وسنة الصدور في أعلى كل حقل مـن ا الأولى وباللغة التي كتب بها ذلك الحقل . الصفحة أما طريقـة عـرض مـادة الـصحيفة فـد تـصدرت البلاغات الصادرة من المندوب السامي الصفحة الأولى ثم أعقبتها في الصفحات الأخرى بلاغات الوزراء ي الحكومة العراقية المؤقتة ومن ثم البلاغات الصادرة من الوزارات وأولها وزار | الداخلية . لقد استمرت الصحيفة على هذا الأسلوب والترتيب في عرض مادتها. طيلة مدة صدورها التي استمرت سنتين (1921 - 1922) . وبالرغم من تتويج الأمير فيصل بـن الحـسين ملكـا علـى العـراق في 23 آب 1921 فـان قـرارات مجلس الوزراء الصادرة بإرادة ملكية لم تقدم في النشر على بلاغات المندوب السامي وهي

أعلى سلطة في البلاد عملياً رغم وجود ملك وحكومة . وابتداء من العدد الرابع حدد لأول مرة تاريخ صدورها وهو 15 نيسان 1921 وأشار بيان وزارة الداخلية بأن الجريدة ستنشر كل أسبوعين بدلاً من صدورها شهرياً ابتداء من هذا التاريخ . ولقد عانت وزارة الداخلية من الترجمة الركيكة والمغلوطة أحياناً التي كانت تستلمها من الدوائر الحكومية بالنسبة لإعلانات الجريدة فاضطرت الى التنويه في أعداد الجريدة بأنها لن تكون مسؤولة عن مثل هذه الأخطاء وطلبت من الوزارات التأكد من الترجمة قبل إرسالها . ومن الملاحظ ان قسماً من أعداد الجريدة احتوت على صفحة كاملة لنشر بعض القوانين بالانكليزية ثم تأتي بعدها صفحة كاملة باللغة العربية ويظهر ان ذلك يعود لعدم إمكان حصر بعض القوانين عند النشر بالحقول الاعتيادية من الجريدة.إلا ان التطور المهم الذي حدث في صحيفة الوقائع وكان له ارتباط بالأحداث السياسية هو ما ظهر في الأعداد الثلاثة الأخيرة الصادرة عام 1921 ففي العدد التاسع عشر الصادر في 30 تشرين الثاني 1921 رفع لأول مرة من الصفحة الأولى شعار بريطانيا ويعتقد ان ذلك يعود الى محاولة إبراز سلطة الملك فيصل الأول الذي توج في شهر أب من السنة نفسها لكي يعطي في الوقت نفسه انطباعاً عاماً لدى الموظفين العراقيين بان حكومة عراقية جديدة بدأت تأخذ طابعاً مميزاً يتصل بالوطن أكثر من اتصاله ببريطانيا . وقد كانت صحيفة الحكومة العراقية (الوقائع العراقية) توزع مجانا على الدوائر الرسمية حسب حاجتها . وكانت تصدر بعشر صفحات خمس صفحات من الجهة اليمني مكتوبة باللغة العربية وخمس صفحات من الجهة اليسرى مكتوبة باللغة الإنكليزية